

تمثُّلات الأقلية اليهودية في السرد العربي: "ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟" أنموذجاً
 The Representations of the Jewish Minority in the Arab Narrative:
 What about Ms. Rachel? "A model"

إبراهيم أبو حمّاد¹

جامعة صفاقس تونس

IbrahimAboHammad@Yahoo.com

تاريخ الوصول 2023/10/07 القبول 2024/01/22 النشر على الخط 2024/03/15
 Received 07/10/2023 Accepted 22/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تناقش هذه الدراسة تمثُّلات الأقلية اليهودية القامشلية في الجمهورية العربية السورية في رواية "ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟" للروائي سليم بركات، وذلك في ثلاثة محاور نقاشية، إذ ناقش المحور الأول الميثاق السردية وعلاقة الهوية بالكتابة، والمحور الثاني لمناقشة النقد الكولونيالي للرواية، وفي المحور الثالث التحقيق السردية، موظفاً المنهج النقدي الثقافي لدراسة الرواية. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها أن السارد وظف تعمية للذاكرة مما اقتضى فك شيفراتها وأنساقها المضمرة، وبيان توافقها مع الرواية الصهيونية في معالجة تهريب يهود سوريا إلى دولة الاحتلال الصهيوني.

الكلمات المفتاحية: الرواية ما بعد الكولونيالية، النقد الثقافي، التحقيق الأدبي، الميثاق السردية.

Abstract:

This study discusses the representations of the Qamishli Jewish minority in the Syrian Arab Republic in the novel "What about Mrs. Rachel? The first part discussed the narrative charter and the relationship of identity to writing, and the second part of the discussion of colonial criticism of the novel, and in the third part of the narrative investigation, in accordance with the cultural critical approach, the study reached a number of conclusions, including that the Narrator employed blindness of memory, which necessitated the decoding and the embedded system, and the statement of its compatibility with the Zionist novel in dealing with smuggling of Syrian Jews into the Zionist occupying Power.

KEYWORDS: The post-colonial novel, cultural criticism, literary investigation, narrative charter.

البريد الإلكتروني: IbrahimAboHammad@Yahoo.com

¹ - المؤلف المراسل: إبراهيم أبو حمّاد

مقدمة:

تناقش رواية سليم بركات " ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟؟" الصادرة عن دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2019 في 566 ص إشكالية الأقليات القومية في الجمهورية العربية السورية في إطار ما بعد حدثي متجاوزاً الأدلوجة القومية إلى قيم المشاركة والتواصلية العقلانية السياسية، إذ إن مشكلة القوميات وحقوقها السياسية والاقتصادية والثقافية هي محل قلق دائم في الوطن العربي وهي منتج ما بعد استعماري، ولذا يطرح سليم بركات المسكون بمحاجس الهوية علاقة القوميات الكردية والأرمنية واليهودية بالنظام السياسي القومي العربي السوري الذي يديره حزب البعث العربي الاشتراكي الحزب القائد للهم السياسي السوري، وبالنتيجة تتناول الرواية أزمة المواطنة والفكر العربي القومي. مما يقتضي فحص مقولات هذه الرواية. في سؤال عن المسؤولية الروائية التي تلقي وجهة نظر، أو اتهامات حول من المسؤول؟

إشكالية الدراسة

تلخص إشكالية دراسة الرواية في بيان الأدلة ووزنها الذي قدمه سليم بركات في روايته التي تسعى إلى إدانة النظام السياسي السوري في تعامله مع إشكالية الأقليات، وخاصة الأقلية السورية اليهودية القامشلية محل هذه الدراسة، وبما يدل على أن الرواية تُعدُّ تحقيقاً أدبياً من شاهد عيان؛ شاهده ولاحظ وشارك واطلع على التمثيلات والتصورات الذهنية للأقليات السورية تجاه النظام السياسي والمكان والموروث الثقافي العربي في الجمهورية العربية السورية، وذلك في بيان هذه التوجهات والعلاقات وتطورها، في معادلة متخصصة في علاقة اليهودي العربي السوري في مدينة القامشلي بالصهيونية، في ظل إقامة "جيب استيطاني" في فلسطين المحتلة، ما يقتضي بيان حضورها وغيابها في السرد، مع النظر إلى السياقين الثقافي والسياسي في زمني الكتابة والحكاية التي تناولها سليم بركات المتزامنين مع خطاب صفقة القرن الأمريكية في تاريخ نشر الرواية، والتحول العربي المتسارع في الوقت الراهن في عملية تطبيع دول عربية في مسيرة "السلام" مع الكيان الاحتلالي الصهيوني، وذلك للكشف عن قصيدة المؤلف في هذه الرواية، ومدى تعزيزه لدعم خطاب المقاومة، أو الكولونيالية.

أسئلة الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة للوقوف على إشكالياتها، وذلك على النحو الآتي:

- 1- هل وجهة نظر السارد تدعم خطاب المقاومة أو خطاب الكولونيالية؟
- 2- هل الحوارية الواردة في الرواية قدمت أدلة كافية عن وجهات النظر المتباينة في هجرة يهود القامشلي إلى فلسطين المحتلة أو إلى أي جهة أخرى؟ أم أنها كشفت عن وجهة نظر واحدة؟
- 3- هل هناك تواطؤ بين النظام السياسي السوري وهجرة يهود القامشلي؟

حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على تناول إشكالية علاقة اليهودي في القامشلي بالنظام السياسي والثقافي السوري، في زمن الحكاية التي يسردها بطلها في الرواية، ولذا لن تتعرض الدراسة إلى مشكلة القوميات الكردية والأرمنية إلا بما يخدم هذه الدراسة.

منهجية الدراسة

تتبع هذه الدراسة المنهج الثقافي؛ ببيان الأنساق المضمره لعلاقات نماذج الأقلية اليهودية بالعربي في الرواية، المختزلة روائياً في النظام السياسي البعثي في الجمهورية العربية السورية.

خطّة الدراسة

تتناول خطة الدراسة الآتي:

- 1- الميثاق السردي في الرواية.
- 2- الرواية في نقد ما بعد الكولونيالية.
- 3- التحقيق الروائي.

ولذا نتناول هذه الرواية وفقاً للمحاور السابقة، وذلك على النحو الآتي:

1- الميثاق السردى في الرواية

الكاتب سليم بركات شخصية كردية كانت مقيمة في سوريا، من مواليد مدينة القامشلي في الشمال الشرقي السوري عام 1951، انتقل إلى دمشق لدراسة الأدب العربي، إذ درس سنة واحدة ومنها غادر إلى بيروت في عام 1972 ثم إلى قبرص في سنة 1982، وارتحل هذا الروائي إلى المهجر في السويد في العام 1999. وتعد حياته حافلة فلقمة جزيلة العطاء في كتابة الشعر والرواية والسيرة والمقالة في 52 منتجاً أدبياً بما فيها هذه الرواية. وتتسم أعماله بأنها مطولة، ولقد تضخمت لديه الأنا، بناءً على رؤيته للمركز القانوني والسياسي والثقافي للكرد في سوريا؛ ليعبر عن أزمة الهوية الكردية واصطدامها بالنظام السياسي، مما ولد لديه اتجاهات سلبية تتسم بعدم العدالة والمساواة فيما يتعلق بتناول حقوق الأقليات في سوريا.

عززت سيرته الذاتية ميثاقه السردى النرجسي، في الرواية لتحاكي واقعه المعاش، فالطفولة لا زالت تظهر في كتاباته، مما ولد لديه ميثاقاً سردياً يعالج أزمة الهوية¹.

تتلخص هذه الرواية في بيان اضطهاد النظام السياسي للأقليات، ومنها الأقلية اليهودية، مما اضطرها إلى الهجرة؛ إذ إن لائحة الاتهام ضد النظام السوري تنطوي على حرمان الأقليات من حريتها الثقافية في التعليم الخاص؛ كي يشكلوا حكماً ذاتياً ثقافياً. فقد وُضع اليهود في مراقبة ومعاينة دائمين لدى الأجهزة الأمنية والحزبية، واستبعدوا من العمل الحكومي. فألت بهم الحال إلى الهجرة بناءً على صفقة بين ممثلي الوكالة اليهودية وسماسرة النظام.

ولقد مثّل في روايته الحياة كما كانت تعيشها الشخصيات في العادات والتقاليد والموروث الثقافي ومعيشتهم وسكناهم في مشاهد توحى ببعده ثالث عميق يمكن القارئ من الحياة مع شخصيات الرواية، وي طرح تساؤلاً عن الصدقين الفني والتاريخي للرواية، ولذا يمكن القول إن إشكالية التجنيس الأدبي لهذه الرواية تندرج في فن كتابة اليوميات أو السرد الروائي الشخصي مع انتقائية تدل على عدم حياد الراوي، وذلك ليتمكن من خلق الصورة المبتغاة التي يطرحها حجاجه لإقناع المتلقي والتأثير فيه بشأنها.

هذه السردية الروائية تقدم عملاً أدبياً في أربعة فصول متضمنة العنوانات الآتية: في الفصل الأول الموسوم بـ "الحرب" الذي يتمدد على الصفحات (7-125)، يتناول فيه حرب عام 1967؛ فيسرد فيه يوميات الشخصيات والتعريف بها وتقديمها درامياً في زمن الحرب، إذ إن موسى وكيهات الطفلين الكرديين في القامشلي يلونان نوافذ البيت بصبغة زرقاء؛ لحجب النور عن نيران العدو، وي طرح الطفلة أسئلة عن

¹ يُنظر غربي و. (2022). التطابق الثلاثي في الميثاق السرداتي من الاعتراف إلى المخاتلة بحث في المرجعية. جسور المعرفة, 18(1), 91-98.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/184507>

اندلاع الحرب وتوقفها، وصدور أوامر بمنع التجوال والتجمعات وقطع الكهرباء عن مصابيح الشوارع، وإغلاق المقاهي والسينما، والمدارس التي لا يعبأ الأطفال بإعادة فتحها. ويسرد استدعاء مريدي الحزب لحمل البنادق مع تزويدهم بأربع طلقات¹ في إشارة إلى العلاقة الصوفية الرمزية بين الشيخ المتمثل في الحزب والمريد المتمثل في أعضاء الحزب وقيادته، وتوزيع غنائم الحزب البائسة التافهة التي لا تجدي نفعاً في دفع الخطر عن الذات، ولا توفر الحماية، وهذا يتضح من عدد الطلقات القليلة. ويسخر الطفل موسى من استطلاع المخابرات لحركة اليهود متدخلًا في حوار الطفل كيهات وأبيه أوسي اللذين ينتميان إلى القومية الكردية.

" ماذا يخافون من يهود قامشلو أن يفعلوا؟، سأل كيهات أباه، فانبرى الصبي موسى متدخلًا:

- يخافون أن يسرقوا الأفلام المصرية".

يخرج الطفل موسى عن مبدأ السبب الكافي والتسبب العقلاني للقول بأن هدف الحرب التنغيص على متعتنا بإغلاق السينما، مما يضفي الواقعية على شخصيات الرواية في تفكيرها واستقلالها وحريتها في التعبير عن ذاتها في هذه الرؤية.

وتبقى فلسفة الأطفال تسعى إلى تحليل الصراع، كما يتضح في حوارية كيهات ورحيم الكرديين في تناول موضوع الهوية الكردية واليهودية، وذلك في قولهما مع بيان أسلوب الحوار:

" ماذا سيفعل يهود هذا الحي؟، سأل رحيم زميله كيهات.

"أظنهم سيعلمون إسلامهم"، رد كيهات.

ضيق كيهات بين جفني عينه اليمنى غير واثق من اقتدارها تخمين الآتي. تسأل عفو الخاطر:

هل يهود سوريا عرب؟

يهود عرب؟! عقب رحيم مستغربًا. مط شفته السفلى تديلاً على نقصان معرفته بالأعراق، ثم ابتسم متسائلًا بنبر ساخر:

أنحن أكراد عرب؟"²

هذه التقنيات السينمائية تمثل مشهدية، وحوارًا لتساؤلات الأطفال الفلسفية عن مآلات الحرب، وتفسير معنى العربي، فالعربي يمثل أزمة الفكر القومي الذي يخوض صراعه مع الجيب الاستيطاني الاحتلالي في فلسطين، إلا أنه ينظر إلى اليهودي العربي في سوريا بأنه طارئ غير أصيل، وبأن الكردي خارج القومية العربية على الرغم من تكلمه بالعربية ودينه الإسلامي، وباستنتاج النص فإن الأطفال على ثقة نموذج "رحيم" وتشكك نموذج "كيهات" في تباين غير حاسم لوجهات النظر؛ بالنصر أو الهزيمة للعرب على اليهود، وتحول اليهودي إلى الإسلام، مما يدل على بأنها مفارقة، يبرهن عليها الدعم الغربي وخاصة الأمريكي من وجهة نظر رحيم، مع يقين جازم بقمع الهوية الكردية.

-ماذا نحن الآن؟

نحن أكراد، رد رحيم

أستطيع قول ذلك في المدرسة، أو في أي دائرة رسمية من دوائر الدولة؟ " سأله كيهات.

ويستمر سؤال الهوية في الحوارية بين رحيم وكيهات، إذ يقول رحيم عن القومية الكردية في سوريا المدوتة في شخص كيهات

" نعم، يا رجل. أنت سوري بلا سوريا"

¹ سليم، بركات، ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2019 ص7-12.

² المصدر السابق، 57

مما يشير إلى تجاهل إحصاءات الدولة لعشرات آلاف الأكراد لسوريتهم في ستينات القرن الماضي¹. ولذا فإن الروائي لا يعد ذاته إلا سورياً على الرغم من تعريفه بأن الجنسية مكتومة، أي لا يعرفها أحد، مما يخلق وعياً مناهضاً لسجلات الدولة وبأنها تغير الحقيقة، إلا أنه متمسك بسوريته، في حل توافقي بإعادة الجنسية والحياة في سوريا الدولة دون فكر انفصالي.

يحلل السارد أسباب الهزيمة وتحويل الإعلام لها لمجرد حالة طارئة في طريق النصر على الرغم من فقدان الضفة الغربية وقطاع غزة وصحراء سيناء والجولان، وأشار إلى ذلك السارد في بداية الفصل الثاني من الرواية بقوله: "قضمت من خريطة الأمصار العربية أمكنة، وتضاريس، وأجزاء من السماء"².

يندرج عنوان الرواية في التساؤل عن راحيل، إذ استلهم كيهات تساؤله عن وجود اليهود في نشيد الفداء الذي هو من كلمات الشاعر عبد الجليل وهي وغناء فريد الأطرش، ومضمونه لماذا يقول فريد الأطرش: قد تأخينا هلالاً وصليباً؟ لماذا لم تجد -راحيل- مكاناً لها بين الهلال والصليب؟ لتقول جارتها كاتيا: إنها يهودية³! لقد انشغل سليم بركات في حقوق اليهودي القامشلي، وخاصة عطلة يوم السبت، وذلك لرؤية لينا، ولبيان عرضه في كيفية مساعدة اليهودي في ممارسة يومه في ظل محظورات السبت الأسطورية⁴؛ إذ يقول كيهات: أتريدين مساعدة عصر السبت، أو مساء السبت، يا ست راحيل؟

....

مثل استخراج الماء من البئر. إشعال الشموع. تسخين الطعام"

...

أتحسن الكناسة؟ سألته راحيل مبتسمة

...

الكناسة سهلة، يا ست راحيل. سأكنس داخل البيت، وباحة البيت إن أردت.

...

أكنس البيت

أرتب الأسرة

أرتب الفرش

سأوقد ما تريدين من الشموع

أسخن الطعام⁵.

¹ المصدر السابق، 58-63

² المصدر السابق، 126

³ المصدر السابق، 101

⁴ المصدر السابق، 115

⁵ المصدر السابق، 116-117

إن كيهات قناع المؤلف والسارد الذي يتقارب مع اليهودي بحثًا عن حقوقه كأقلية، إذ لا يقتصر على مساعدة اليهودي في يوم السبت ليتفرغ لمعتقداته الروحية، التي لا ينبغي أن تفسدها أعمال الجسد طلبًا للمنافع، دون أدنى اعتبار بأن اليهود عاشوا حياة طبيعية دون مضايقات فيما قبل احتلال فلسطين في عام 1948.

وفي الفصل الثاني المعنون بـ "احتكار الوجود" الذي يشكل الصفحات (126-277)، يدفع ثقل الحرب ووطأها الشخصيات إلى تفرغ هذا الثقل في المجال الثقافي مثل السينما، وفي عادات مختلفة مثل: عادة التدخين والنجيلة للاستمتاع بالحياة، التي تفرض حضورها في كل فصول الرواية، والبعد عن سأم الحروب ومآسيها وحفظ وجوده من التشيؤ والاستلاب، مما يدفعه إلى نقاش أفكار ميتافيزيقية لاهوتية حد الإلحاد، وعليه فإن هذا الفصل محاولة لإعادة ترتيب الوجود الظاهري إلى وجود صوري عقلي في ذهنية الراوي للبحث عن التعددية والمساواة والعدالة في حقوق الأقليات¹، ومقاومتها في وعيها للثقافة السائدة التي تسلبها وجودها في إطار المراقبة والمعاقبة والحكم الشمولي. لقد انتصر الطفل موسى في هذه الحرب بأن افتتحت السينما بعد ثلاثة عشر يومًا من الإغلاق؛ ولذا فإن هذه فلسفة الأطفال في الحرب بعيدًا عن بيانات انتصار النظام العربي، ومجد الصوت، والتفكير في السينما وتناول التدخين وألعاب الصيف والحب وطرح الأسئلة عن الوجود هي ما يشغل ذهن طفل القامشلي دون إدراك ما جدوى نفعها، فالفكر غير نفعي، وإنما إحساس بالوجود والحلم.

إلا أن شخصيات الرواية لم تجد ما يذكرها بجرائم الإبادة بحق الشعب الفلسطيني، وما ولد ذلك من ردة فعل لدى الشعوب، واغتصاب الأراضي العربية إلا في سياق ساخر من القيادة العربية والشخصيات العربية فالسؤال عن أين قتل اليهود؟² ولم يتساءل عن الخيام في مخيمات الشتات الفلسطيني، عن تسعة عشر عامًا من زمن الرواية في التهجير القسري للشعب الفلسطيني، وعن العنصرية الصهيونية في ظل حكم عسكري في الأراضي المحتلة لا زالت شواهدا ماثلة للعيان، في ظل حرمان من تخيل ممارسة حق العودة، وسجون ما زالت مرقداً للأسرى الفلسطينيين من أطفال ونساء وشباب في ظل مصير مجهول حتى عملية طوفان الأقصى، والمقتلة والإبادة للشعب الفلسطيني في عام 2023م³، وفي هذا الفصل يقدم السارد نقدًا سينمائيًا لفيلم "سالامبو" وهركوليس⁴ وبذلك يسخر من الخطاب العربي وسياسة الاكتفاء الذاتي التي يتضمنها شعار "سنزرع القمح على سطوح المنازل" ومن قصة أصحاب الفيل؛ فالمفارقة احترامه للديانة اليهودية التوراتية دون المعتقدات الإسلامية، وعلى الرغم من إشارته إلى الاضطهاد السياسي إلا أنه يبين أسباب أخرى للهجرة في حوار الفتاة اليهودية لنا بقولها:

" يهرب إلى جنة أجمل من الجنة التي هو فيها"⁵

وفي قول السيدة راحيل:

ماذا يفعل ممرض في بلد لا مرضى فيه؟⁶ وأيضا بقولها

هذا ديك أجنبي؟... لا أستطيع التصريح عن موطنه⁷

¹ الكومي، محمد، الوجود والصورورة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2018 ص 37-41.

² المصدر السابق، 106

³ يُنظر أم السعد ح. (2017). سير نسوية تقاوم الهيمنة الاستعمارية والذكورية والسياسية. المدونة، (2)4، 440-423. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/31995>

⁴ المصدر السابق، 173 و187

⁵ المصدر السابق، 272

⁶ المصدر السابق، 273

⁷ المصدر السابق، 276

يشير هذا الخطاب إلى قناعة راحيل بالهجرة من القامشلي، نظرًا لعوامل الجذب الخارجية والاستقطاب الصهيوني ليهود العالم ومنهم يهود العالم العربي. لقد كانت أوروبا تعاني من آثار الحرب العالمية الثانية، وأمريكا أغلقت باب الهجرة أمام يهود العالم لتمكينهم من الهجرة إلى دولة الاحتلال، وبذلك لم تكن الرقابة والمعاقبة العامل الوحيد للهجرة، إلا أن الخطاب تضمن مخالطة قد يقتضيها الصدق الفني والتاريخي لهذه الرواية التي تقارب تسجيل الحدث أو الرواية الشفوية.

وفي الفصل الثالث الموسوم بـ " رؤيا النبي الكاهن"، يتضح أن الصراع في سوريا لم يقتصر على الأقليات فحسب، وإنما وجد صراع بين الإسلاميين والبعثيين، منتقداً الطرفين مع مفارقة احترام الطقوس اليهودية، وكيف أنزل رجال الاستخبارات بمريدي الإخوان المسلمين التنكيل والتعذيب، وهذا ما يلحق منتسبي حزب الباتي الكردي لمؤسسه مصطفى البرازاني¹، ولم يعد سرًا علاقة الصهيونية بمصطفى برازاني، وأن الهجرة اليهودية من كردستان بدأت منذ القرن السادس عشر حتى بلغ عددهم 150000 في دولة الاحتلال الصهيوني، ويدعمون العلاقات الصهيونية الكردية²، وهذا ما ينفي هجرة يهود القامشلي بسبب سياسات حزب البعث السوري، وزيادة على ذلك فإن العدوان الصهيوني على الدول العربية واحتلال فلسطين لم يولد أدنى سبب لإطلاق كلمة مقاومة من شخصيات الرواية على هذا الاعتداء السافر، مما يشكل تحايلاً سردياً مخالفاً³، وتتطور حبكة الرواية التي تُعدُّ حدثاً يمثل باختفاء ثلاث عائلات يهودية من خلال مهرب مرتشٍ يدعى عطية الحنوش لتهريبهم من تركيا ثم لبنان إلى قبرص ثم إلى دولة اليهود⁴، ويقارب السارد بين عطية الحنوش الذي قد يكون اسمًا مستعارًا لجودي كار وبين الجاسوس إيلي كوهين، إلا أنه يذكر بأنه كان مستشارًا لوزير الدفاع في عام 1966 على الرغم من أن إعدام كوهين كان في 18 أيار من عام 1965⁵، وبالإضافة لذلك فإن جودي كار هو شخصية كندية عملت على تهريب نصف يهود سوريا البالغ عددهم ستة آلاف بين عامي 1973 و2001، وذلك بالرشوة وفقا للمتداول عبر الشبكة العنكبوتية⁶. في ظل عدم وضوح الرواية العربية، والسرد الصهيوني الذي يعبر عن أصلاية اليهود كجماعة سابقة على العرب، وأن الهجرة بفعل معاداة السامية، والسيطرة على ممتلكات اليهود، ومساواتها بالنكبة للوصول إلى أنها عملية تبادل سكاني ونقاء عرقي، لا بفعل الصهيوني بقصد تعزيز قوته الديمغرافية.

أما الفصل الرابع الموسوم بـ "لغز الشهور القمرية" الذي يرد في (ص 434-562) فيتعرض لمطارة رجال الاستخبارات لمهربي اليهود، وهروب حبيته لينا، وانتهى الفصل، وكيهات يدندن كلمة سوريا على نغم مرتجل: "سو. ري. يا" بشهقة خفيفة أعقبه زفير مديد، وبكاء.

¹ المصدر السابق، 293، 279

² Kara, P. **Stroum Center for Jewish Studies**. September 18th, 2019. The Jews of Kurdistan: How Kurdish Jews became Israeli. Retrieved <https://jewishstudies.washington.edu/global-judaism/kurdish-israeli-jews-kurdistan-saharane/> from 20 August 2020.

Kurdish Jewish Community .<http://www.jcjr.org/kurdish-jewish-community> Kurdish Jewish Community LAST VISIT 20.3.2021
³ يُنظر ويزة غ. (2018). التحايل على الميثاق السيرداتي في السيرة الذاتية النسائية. مجلة الاداب واللغات، 7(2)، 315-328. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/73329>

⁴ يُنظر ليلي ر. (2016). السيرة الذاتية والرواية، الميثاق والحدود. المدونة، 3(1)، 127-143. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/88080>

⁵ ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟؟، 323، 324

⁶ Azoulay, Y. May 14, 2010. Haaretz. **Unending Agony for Legendary Spy Eli Cohen and His Widow**. Retrieved <https://www.haaretz.com/1.5120404.from> 20.3.2021.

⁷ RAPHAEL AHREN. Timesofisrael. 17 August 2012, 6:37 am **Thank God, there are almost no Jews in Syria now,' says the woman who rescued most of them**. Retrieved <https://www.timesofisrael.com/thank-god-there-are-almost-no-jews-in-syria-now-says-the-woman-who-rescued-most-of-them-judy-feld-carr-from> 20.3.2021

2- نقد ما بعد الكولونيالية في السرد الروائي

عاشت الأقلية اليهودية في العالم العربي حياة هادئة، في العراق ومصر والمغرب... بالمقارنة مع الجرائم التي ارتكبت بحقهم في عديد من الدول الأوروبية مثل روسيا وألمانيا، ولقد كان لليهود ثلاثة تجمعات رئيسة في دمشق وحلب والقامشلي، والأخيرة هي منطقة حدودية سورية تركية. يتناول سليم بركات في سرد روائي شخصي وغيري لمعاناة وصخب الأقليات في القامشلي أو القامشلو باللغة الكردية، إذ إن هذا الصخب والمعاناة ابتداءً مع تأسيس الجيب الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة، مبيّنًا على لسان الراوي الدور الاستعماري في النهب، وإعادة تشكيل خريطة المنطقة، وتقاسم الإرث العثماني؛ فيسرد الراوي "ما وراء نهاية الأرض المرتفعة، التي تنتهي بانحدار صوب البرزخ بين حدود الدولتين، زرع وفير من أصوات الترك ومحاصيل وفيرة من صراخ الترك تذكيرًا أن سوريا جارية من جوارى السلطان ضللها الغرب باتفاقه على اقتسام الجغرافيا في أنحاء الشرق، فاستولد دولاً ليست دولاً، توارثت الخلائق فيها حقد الجيران على الجيران، وحقد الأديان على الأديان"؛ ولذا فإن هذه الأصوات التركية في وجهة نظر السارد تبين تحولات الظلم على هذه الأرض العربية السورية في نظرة التركي إلى سوريا الجارية، بما يتضمنه هذا المعنى من دلالات العبودية إلى مخلفات الاستعمار الذي جعل من سوريا والمنطقة دولاً غير متجانسة في نزاعات حدودية ودينية مستمرة، وبذلك أغفل السارد عوامل الجذب الصهيوني الذي عني في هجرة اليهود العرب إلى فلسطين المحتلة. كتبت هذه الرواية في غابة سكوغوس في مملكة السويد سنة 2018-2019 في ظل علاقات صهيونية عربية تشهد تحولاً سياسياً عميقاً، والانتقال من خطاب التحرر والكفاح المسلح المزعوم إلى خطاب التطبيع، وبما يترتب عليه من إعادة تشكيل الوعي العربي في العلاقة مع النظام الصهيوني. وأما الزمن الحكائي فإنه يختص في حرب حزيران 1967، ولقد كان زمن الخطاب السردية تعاقباً طبيعياً إذ تذكر الرواية صراحة الخامس من حزيران، سنة 1967، ويستخدم تقنية الحذف مثل مر يومان، وتقنية التلخيص وذلك كقوله: في اليوم الثالث اتضحت صور الأوامر مضمومة الأجزاء بعد تفكك:

يمنع التجوال ليلاً

تمنع التجمعات¹.

هذا الزمن الرتيب ينحو إلى التوثيق التاريخي واليومي، مما يجعل منها توثيقية تسجيلية ليوميات الأقليات القومية في الجمهورية العربية السورية، بحيث تجمع الرواية بين الصديقين التاريخي والفني بشكل انتقائي، وتضع اليهودي في إطار أمكنة خاصة مثل المنزل الحانوت الحي اليهودي، فاليهودي شرقي وعربي وغير شرقي وغير عربي، والخوف من النظام مسوغ لإعادة تشكيل هويته، باستكمال تطهيره من قوميته العربية، إلى الصهيونية ودون كشف الأنساق المضمرة في الرواية، إذ إن الحي اليهودي في نيويورك وصفه السارد كملجأ آمن إلا أنه مكان مرتبط بالامبريالية الأمريكية لإعادة تشكيل اليهودي القامشلي التقليدي إلى يهودي حديث بما يخدم الصهيونية.

لذا تخلق هذه السردية تأصيلاً جديداً قوامه الخوف لتسوية تعزيز الجيب الاستعماري، ويعمل على بناء ذاكرة قومية صهيونية جديدة بالسرد عن الحاضر أو استشراق المستقبل، ليتوافق مع النظرية الصهيونية الناهضة على حجة تبادل السكان ومقايسة حق عودة الفلسطيني وتقويضه وفق توازن سكاني بين اللاجئين الفلسطينيين والهجرة غير الشرعية لليهود العرب إلى فلسطين المحتلة، مصحوباً ذلك بتوازن في الأملاك بين أملاك اليهود العرب في الدول العربية وأملاك الفلسطينيين في فلسطين المحتلة، إذ عملت الصهيونية على إذابة اليهودي العربي الذي تمثلته استشراقياً لصهره في اليهودية الغربية، واختزال اليهودي العربي كمخزون للاجئين والمقايسة، ولذا فإن اليهودي العربي يحاول إثبات ولائه للدولة

¹ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟، 9، 10

الصهيونية بنكران قوميته العربية، ومثال ذلك من العرب عامير بيرتس وايزنكوت... وديفيد ليفي، واليهود العرب الذين يلتحقون بالأحزاب الدينية المتطرفة مثل شاس من أجل الحصول على منافع من خلال برامج العمل والتعليم والرفاه، ولذا يظهر في السرد الروائي علامات سيميائية للتدين مثل يوم السبت ومينوراه إذ إن التدين مرتبط بـ "العلياه" أي الصعود إلى الأرض المقدسة والشغف بها، وذلك مرتبط بخط استيعاب صهيونية على مستوى السلطات التشريعية والتنفيذية، وتنقيفية باللغة العبرية، وبما يخلخل الهوية اليهودية العبرية ويعيد بناءها¹. وبالنتيجة، تنظر الرواية إلى الواقع من وجهة نظر تعزز الرؤية الاستشراقية الصهيونية، دون بيان المخطط الكولونيالي الاستعماري، في ظل تأزم السرديات العبرية الكبرى وعدم عقلانيتها تواصلياً، وعدم استيعاب مفاهيم ما بعد الحداثة وحقوق الأقليات. إذ لم تقدم سردية مقاومة، وإنما متماهية مع الرؤية الاستشراقية اليهودية وتعزيز فقدان الذاكرة العبرية وجلد الذات في تعزيز الاحتلال الصهيوني في سياق سياسي وسلطوي، إذ لا يزال سليم بركات غير مفارق لحبيته لنا، وما زال يعتقد بديمومة هذا الحب على خلاف محمود درويش في شتاء ريتا الطويل.

3-التحقيق الأدبي

ولما كانت رواية سليم بركات دعوة إلى بيان ارتباط هروب راحيل كما يزعم سياسة الخوف، فهل قدم في تحقيقه الأدبي دليلاً على ذلك على فرض صحة أن الرواية تحقيق أدبي؟، إذ إن سليم بركات يشير لوضع سياسي مأزوم إلا أن الثقافة مغايرة للواقع، فالضحية الكردية حالياً تمارس سياسة الجلاد في منطقة القامشلي في سياسة تكريد العرب²، مما قاد عديد من المسيحيين إلى الهجرة.

إن ممارسة التحقيق الأدبي الروائي تعد ترحيلاً من الفنون الصحفية المتمثلة في التحقيق الصحفي، ويقارب مفهوم التحقيق القضائي، فواقعة تهريب اليهود من القامشلي لم يقدم بها تحقيق إداري أو قضائي أو أنه غير متاح في ظل صمت الدولة السورية عن إتاحة معلومات متعلقة بذلك، مما يشير إلى مفهوم المجتمع المغلق، وعلى الرغم من أن المعلومات متاحة بغير اللغة العبرية مما يثير مسألة عدم توافر نقاش عام في الموضوع وقد يكون لذرائع أمنية واهية بحجة أسرار الدولة، إلا أن ذلك يعني وجود وجهة نظر واحدة أو الاكتفاء بحجة نيل جهود القامشلي حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية، وعدم الرد على الحجج المناهضة³، مما يجعلنا بحاجة إلى نظرية عربية نقدية لهذا المشكل، مما يجعل قلة الدراسات في هذا الموضوع تعزيزاً للرواية الصهيونية.

ولما كانت رواية "ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟" تطرح تساؤلاً عن حقوق الأقلية اليهودية في ممارسة حقها الثقافي والاجتماعي لتمثيل هويتها، إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون مطلقاً، إذ تشير الرواية إلى ممارسة اليهود لشعائهم الدينية واللغوية والثقافية واستخدام رموزهم وثقافتهم. وقد رصدت الرواية مخالفات متعلقة بتعليم الدين الإسلامي لليهود وتولي الوظائف العامة، إلا أنها لا تشير أيضاً إلى حرمانهم من الجنسية أو قتلهم، إذ ورد القتل بشكل مبهم غير واضح، وإن هذا الأمر مرتبط بموقف سياسي؛ أي اختلاف مع موقف سياسي صهيوني، وغير نابع من كراهية دينية، وذلك لا يتناقض مع المادة 27 من العهد الخاص بالحقوق المدنية والسياسية؛ لارتباطه بسلامة الدولة، ولا يمكن إنكار أن تهريب يهود العرب أضر بالقضية الفلسطينية والعربية.

¹ شرباني، يهودا، اليهود العرب، قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية، ترجمة ياسين السيد: عمان، الأهلية للنشر والتوزيع 2016 ص 241، 106، 42، 58.

² محمد، أمين. العربي الجديد، <https://www.alaraby.co.uk> "تكريد" أسماء مدن سورية لتغيير الوقائع الديمغرافية، الأحد 6 ديسمبر / كانون الأول 2015 م 24 صفر 1437 هـ العدد 461 السنة الثانية، تاريخ الاسترداد 2021/3/23.

³ ينظر الباحثة ع. ج. ح. ع. ا. (2023). الطبيعة وإستراتيجيات التحرر في رواية (رأيت رام الله) ما بعد الاستعمار من منظور بيئي. العلامة، (1)8، 48-76.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/229892>

وعليه؛ فالرواية لم تقدم شهادات تُعدُّ دليلاً مقنعاً لانتهاك حقوق الأقلية اليهودية، ولكن الرواية حاولت إعادة تشكيل الماضي الحكائي بطريقة انتقائية تخدم الزعم الصهيوني بأن الدولة اليهودية ملاذ يهود العالم الأخير، مما يناقض كتابات ما بعد الاستعمار¹، فلم تقدم راحيل نيسان الشخصية اليهودية في الرواية مبرراً لتوجه سليم بركات، وكذلك فإن ابنتها البكر هربت مع كردي لأن اليهودية تمنع هذا الزواج وتسعى إلى نقاء العرق اليهودي مما يجعل حب كيهات ولينا محكوماً عليه بالإعدام، وكذلك لم يرد ما يدين سوريا بشهادة كل من لينا وراحيل وبنحاس إيليا، وزيادة على ذلك فإن الرواية بشخصياتها المسطحة لم تقدم وجهة نظر مغايرة تدل على أيديولوجيات مختلفة، ولكنها تعبر عن وجهة نظر الأقليات دون الاعتماد على تقنية تعدد الأصوات، وزيادة على ذلك أغفل جرائم الاستعمار² مما يجعل من الروائي أو المؤلف هو مصدر هذه الأصوات بصوت ووعي واحد. وبذلك فإن السارد هو قاضٍ وشاهد في التحقيق الروائي³، مما يخل بالصدق الفني والتاريخي للرواية. إذ إن السارد يسيطر على الشخصيات وهي تتكلم وجهة نظر الكاتب رغم صغر سنها، وزيادة على ذلك بقي الوعي مختزلاً بالزمن الحكائي، إذ على الرغم من كتابة الرواية في عام 2019، إلا أنه أبقى شخصية جودي كار غامضة رغم تكشفها، وهي التي استخدمت السفارة الكندية في دمشق موقعاً مثالياً لصهيئة يهود سوريا، وكان لها ذلك.

الخاتمة والنتائج

وفي نهاية هذه الدراسة، فإنها تميظ اللثام عن إشكالية الأقلية اليهودية في الجمهورية العربية السورية، فتناقش ميثاق السرد الروائي، وذاكرة السارد التي تسعى إلى تشكيل الماضي وتعتيمه، وعلى الرغم من قلة الدراسات العربية في هذا الموضوع، فإن الدراسة تجاوزت الشخصية اليهودية إلى الأقلية اليهودية، وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات تتضمن تعميق الدراسة لبعدها الجماعية وتجاوز الشخصية اليهودية، وأن خطاب الرواية مناهض لخطاب المقاومة، وينسدل في الخطاب الاستعماري الذي مارس أشد أنواع التنكيل في جرائم الإبادة للفلسطينيين ومنها معركة طوفان الأقصى، وكذلك العدوان على الأقليات، ومنها الأقلية اليابانية في أمريكا في الحرب العالمية الثانية.

قائمة المصادر والمراجع

- الجيزاوي، خليل، يوسف الشاروني عمر من ورق، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م.
 أم السعد ح. (2017). سير نسوية تقاوم الهيمنات الاستعمارية والذكورية والسياسية. المدونة، 4(2)، 423-440.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/31995>
 سليم، بركات، ماذا عن السيدة اليهودية راحيل؟، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2019م.
 شرباني، يهودا، اليهود العرب، قراءة ما بعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية، ترجمة ياسين السيد، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2016م.
 ع. ج. ح. ع. ا. (2023). الطبيعة وإستراتيجيات التحرر في رواية (رأيت رام الله) ما بعد الاستعمار من منظور بيئي. العلامة، 1(8)، 48-76. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/229892>

¹ يُنظر ن. ش. (2017). خطاب ما بعد الاستعمار في النقد العربي. المعيار، 8(1)، 185-199. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/46296>

² يُنظر عشوي م. (2020). قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي. المصادر، 17(1)، 179-199. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111171>

³ الجيزاوي، خليل، يوسف الشاروني عمر من ورق: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009، 200، 165.

عشوي م. (2020). قراءة نفسية في سجل الاستعمار الفرنسي. المصادر, 17(1), 179-199.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111171>

غري و. (2022). التطابق الثلاثي في الميثاق السيرداتي من الاعتراف إلى المخاتلة بحث في المرجعية. جسور المعرفة, 8(1), 91-98.

الكومي، محمد، الوجود والصورورة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2018م.

ليلي ر. (2016). السيرة الذاتية والرواية، الميثاق والحدود. المدونة, 3(1), 127-143.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/88080>

محمد، أمين. العربي الجديد، <https://www.alaraby.co.uk> "تكريد" أسماء مدن سورية لتغيير الوقائع الديمغرافية، الأحد

6 ديسمبر / كانون الأول 2015 م 24 صفر 1437 هـ العدد 461 السنة الثانية، تاريخ الاسترداد 2021/3/23.

ن. ش. (2017). خطاب ما بعد الاستعمار في النقد العربي. المعيار, 8(1), 185-199.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/46296>

ويزة غ. (2018). التحايل على الميثاق السيرداتي في السيرة الذاتية النسائية. مجلة الاداب واللغات, 7(2), 328-315.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/73329>

المراجع الأجنبية

Azoulay, Y. May 14, 2010. Haaretz. **Unending Agony for Legendary Spy Eli Cohen and His Widow.** Retrieved <https://www.haaretz.com/1.5120404.from> 20.3.2021.

Kara. P. Stroum Center for Jewish Studies. September 18th, 2019. The Jews of Kurdistan: How Kurdish Jews became Israeli. Retrieved <https://jewishstudies.washington.edu/global-judaism/kurdish-israeli-jews-kurdistan-saharane/from> 20 August 2020.

Kurdish Jewish Community .<http://www.jcjr.org/kurdish-jewish-community> Kurdish Jewish Community LAST VISIT 20.3.2021.

RAPHAEL AHREN. Times of Israel. 17 August 2012, 6:37 am **Thank God, there are almost no Jews in Syria now,' says the woman who rescued most of them.** Retrieved <https://www.timesofisrael.com/thank-god-there-are-almost-no-jews-in-syria-now-says-the-woman-who-rescued-most-of-them-judy-feld-carr> from 20.3.2021